الفصل السادس

في هذا الفصل نتناول العضو السادس في هذه الأسرة المباركة، وهذا العضو المبارك هو نبي الله وعبده، ورسوله وهو رسول من الرسل أولي العزم نبي الله عيسى عليه السلام ...

وفي هذا الفصل نتناول هذه الموضوعات...

- المولد والنشأة.
- كيف تحدث القرآن عن عيسى عليه السلام؟
- صفات نبي الله عيسى عليه السلام :

- إني عبد الله .
- إعطاؤه الكتاب .
- كونه نبياً من أولي العزم .
- جعله مباركاً .
- وأوصاه بالصلاة والزكاة .
- براً بوالدته .
- السلام عليه يوم ولد ويوم يموت ..
- صفة عيسى في السنة كأنك تراه .

* معجزات عيسى عليه السلام .

- إبراء الأكمه .
- شفاء الأبرص .
- إحياء الموتى .
- نزول مائدة من السماء .

* فضائل وشمائل عيسى عليه السلام .

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء .

حوارها .
سؤال مباشر .

كيف تحدث القرآن والسنة بأن الله منزه عن الولد...

نزول عيسى آخر الزمان..
الحكمة في نزول عيسى عليه السلام .

كتب مقدسة لها تاريخ .

عيسى عليه السلام

المولد والنشأة

نحن الآن على موعد مع قصة أعجب من قصة ميلاد يحيى عليه السلام، وإن كان سر التعجب في قصة ميلاد يحيى عليه السلام : أنه أنجب من أب شيخ كبير وهن عظمه واشتعل رأسه ، وأم عاقر ومعلوم أن العاقر لم ولن تلد.

أما هذا الحادث الآخر وجه العجب فيه ولادة العذراء عليها السلام من غير بعل وهي أعجب وأغرب ، وإذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلا وإنشائه على هذه الصورة ، فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله، ويكون حادثا لا نظير له من قبله ولا من بعده، والبشرية لم تشهد خلق نفسها وهو الحادثُ العجيب الضخم في تاريخها ، فلم تشهد خلق الإنسان الأول ـ من غير أم وأب ـ وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث العجيب الضخم في تاريخها فشاءت الحكمة الإلهية أن تبرز الحكمة العجيبة الثانية، في مولد عيسى من غير أب، على غير السنة التي جرت منذ وجد الإنسان على هذه الأرض ، ليشهدها البشر، ثم تظل في سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت إليها الأجيال، إن عزَّ عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التي لم يشهدها إنسان.

وقال بعض العلماء : إن الله عزت قدرته ، خلق آدم بلا أب وأم ، وخلق حواء من أب بلا أم ، وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق جميع الخلق من أب وأم من أجل أن تكتمل حلقة الخلق هذا ، وقد جرت سنة الله في خلقه التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء ، حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر وأنثى متميزان تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث جرت هذه السنة أحقابا طويلة حتى استقر في تصور البشر أن هذه الطريقة هي الوحيدة ، ونسوا الحادث الأول، حادث وجود الإنسان لأنه خارج عن القياس، فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ، ليذكرهم بطلاقة القدرة وطلاقة الإرادة ، وأنها لا تحتبس داخل النواميس التي تختارها، ولم يتكرر حادث عيسى؛

لأن الأصل هو أن تجري السنة التي وضعها الله ، وأن ينفذ الناموس الذي اختاره، وهذه الحادثة الواحدة تكفي لتبقى أمام أنظار البشرية معلما بارزًا على حرية المشيئة ، وعدم احتباسها داخل حدود النواميس . . وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ، وهكذا كان خلقه آية للناس على مر العصور وتتابع الدهور إلى أن تقوم الساعة.

كيف تحدث القرآن عن عيسى عليه السلام؟

في هذه السطور القليلة نرصد الآيات القرآنية التي تحدثت عن نبي الله عيسى عليه السلام حتى يتسنى للقارئ الكريم أن يقف على ما قصه القرآن الكريم عن نبي الله عيسى عليه السلام، ويبرئه مما يقال عنه وفي حقه من أتباعه.

قال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٤].

ما نطق ببراءة أمه أول ما نطق ، وقد قذفوها ، وهي الطاهرة العفيفة وإنما نطق بعبوديته لله ، فصلاة الله وسلامه عليه .

وقال تعالى في حقه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٦ ، ١٥٩].

اسم السورة	رقم السورة	أرقام الآيات	عدد الآيات
البقرة	٢	٨٧، ١٣٦، ٢٥٣	٣
آل عمران	٣	٤٥، ٥٣ ، ٥٥، ٥٩، ٨٤	٥
النساء	٤	١٥٧، ١٦، ١٧١، ١٧،	٤
المائدة	٥	١٧، ٤٦، ٧٢، ٧٥، ٨، ٧، ١١٠، ١١٢، ١١٤	٩
الأنعام	٦	٨٥	١
التوبة	٩	٣٠، ٣١، ٣٤	٢
مريم	١٩		١
المؤمنون	٢٣	٥٠	١
الأحزاب	٣٣	٧	١
الشورى	٤٢	١٣	١
الزخرف	٤٣	٥٧، ٦٣	٢
الحديد	٥٧	٢٧	١
الصف	٦١	٦	١

في هذه الصفحات القادمة نقدم صفات نبي الله عيسى عليه السلام ، هذه الصفات التي يجب أن تقتدي بها وتتحلى بها ؛ لأن هذه صفات حبا الله بها نبيا من أنبيائه المصطفين الأخيار.

فيا سعد من تخلق بهذا الخلق وهذه المكارم ، فبحق يسعد في الدنيا والآخرة.

هذه الصفات التي ذكرها وتحدث عنها القرآن الكريم ومن حسن حظ المسلمين أن هذه الصفات ذكرت في القرآن الكريم ، والقرآن دستور هذه الأمة، وكتابها الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم.

فيا أخي المسلم لِمَ لا تتخلق بهذه الصفات الحميدة والخلال الكريمة؟ ، هل تفكر في خير منها ؟، هل تتخيل أن هناك صفات وأخلاقًا خير من هذه الصفات، التي أخبرنا الله عز وجل بها ، في قرآنه الكريم، فإذا كانت الإجابة بالنفي ، فلم لا نسعى إلى التخلق بهذه الأخلاق ونتحلى بهذه الصفات الكريمة .

أخي الحبيب هيا بنا نجلس في هذا البستان اليانع الماتع لنقطف بعض هذه الأزهار اليانعة.

صفات نبي الله عيسى عليه السلام

ما أروع هذه الكلمات وما أصدقها ، حينما تخبرنا عن كلمة الله وروحه عيسى ابن مريم عليه السلام، ونحن بعون من الله وتوفيق منه من خلال هذه السطور القليلة القادمة نذكر الصفات التي وصف بها المسيح نفسه ، وهذه الصفات نذكرها كما تحدث القرآن الكريم عنها .

العبودية لله تعالى

الصفة الأولى : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ، اعلم أخي الحبيب أن أول وصف وصف به نفسه، أنه عبد الله ، فهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله فليس هو ابنه كما تدعي فرقة من النصارى، وليس هو إلها كما تدعي فرقة أخرى، وليس ثالث ثلاثة وبهذه الحقيقة بدد الوهم الذي ذهبت إليه النصارى.

فالعبودية لله تشريف وتكريم ، ولغيره ذلة ومهانة ، ولذلك قيل: إذا نسب العبد إلى الله كان حرًا ولو كان في دنيا الناس عبدًا، وإذا نسب لغيره كان عبدا ولو كان في دنيا الناس سيدًا كريما.

الصفة الثانية :﴿ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ : يقول الإمام الرازي [1]: إن هذه الآية تدل على أن الله عزت قدرته آتاه الكتاب ، الإنجيل وجعله نبيًا وأمره بالصلاة والزكاة وأن يدعو إلى الله تعالى وإلى دينه ، وإلى ما خص به من الشريعة فقيل :هذا الوحي نزل عليه وهو في بطن أمه ،وقيل :لما انفصل من الأم آتاه الله الكتاب والنبوة ، وأنه تكلم مع أمه وأخبرها بحاله وأخبرها بأنه يكلمهم بما يدل على براءة حالها، فلهذا أشارت إليه بالكلام، والله أعلم بمراده.

الصفة الثالثة : ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ : والنبي في عرف الشرع هو الذي خصه الله بالنبوة والرسالة خصوصا إذا قرن إليه ذكر الشرع وهو قوله: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ .

---

(١) مفاتيح الغيب ، للإمام الفخر الرازي ج ٢٢ ، ص ٢٠٩.

الصفة الرابعة : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ : أي جعلني ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعلما له، وجعلني آمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف، فلعل قائلاً يقول: كيف جعله مباركا والناس قبله كانوا على الملة الصحيحة فلما جاء صار بعضهم يهودًا وبعضهم نصارى قائلين بالتثليث ولم يبق على الحق إلا القليل؟.

والجواب : قيل: جعلني ثابتا على دين الله مستقرًا عليه وقيل :إنه كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق ، فإن ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله.

وروي عن الحسن ، عن النبي ﷺ قال : أسلمت أم عيسى عليها السلام عيسى إلى الكتّاب فقالت للمعلم : أدفعه إليك على أن لا تضربه فقال له المعلم :اكتب فقال: أي شيء أكتب؟ فقال: اكتب أبجد، فرفع عيسى رأسه فقال: هل تدري ما أبجد؟

فعلاه بالدرة ـ ليضربه فقال: يا مؤدب لا تضربني إن كنت لا تدري فاسألني فأنا أعلمك ، ألف من آلاء الله، والباء من بهاء الله، والجيم من جمال الله ،والدال من أداء الحق إلى الله[1].

وقيل :البركة الزيادة والعلو ، فكأنه قال :جعلني في جميع الأحوال غالبا مفلحًا لأني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعليًا بالحجة، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء. . . وقيل :مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، قال قتادة : إنه رأته امرأة وهو يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، فقالت: طوبى لبطن حملك وثدي أُرضعت به ، فقال عيسى عليه السلام مجيبًا لها :طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارًا شقيًا، أما قوله أينما كنت ،فهو يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل: إنه عاد إلى حال الصغر وزوال التكليف وعند الله العلم .

الصفة الخامسة : ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ : فإن قيل: كيف أمر

---

(١) ضعيف جدًا : أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج١ ص ١١٦ من حديث ابن مسعود وأبي سعيد بسند ضعيف جدًا .

بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلاً صغيرًا والقلم مرفوع عنه ، على ما قاله ﷺ : «**رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ...**»[١] قيل : إنه قوله : وأوصاني بالصلاة والزكاة ، لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بعد البلوغ، وقيل: لعل الله تعالى لما انفصل عيسى عن أمه صيره بالغا عاقلاً تام الأعضاء والخلقة وتحقيقه قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران : ٥٩] فكما أنه تعالى خلق آدم تامًا كاملاً دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام، ومعنى هذا أن التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته ،وظاهر الآية يفيد أن تكليفه لم يتغير حيث كان في الأرض، وحين رفع إلى السماء وحين ينزل مرة أخرى [٢]. وقيل : أي لأؤديهما إذا أدركني التكيف وأمكنني أداؤهما .

الصفة السادسة :﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ : أي جعلني برًا بوالدتي، وهذا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ، لأن الآية تدل على كونه برا إنما حصل بجعل الله وخلقه وحمله على الإنطاق عدول عدول عن الظاهر وقوله:﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ ،فيه إشارة إلى تنزه أمه عن جريمة الزنا التي قُذفت بها ، إذ لو كانت كذلك لما كان الرسول المعصوم مأمورًا بتعظيمها .

وهناك لطيفة أخرى ـ أنه قال :﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ ، ولم يقل برًا بوالدي ، لأنه علم أنه نشيء من جهة الله تعالى ولم يكن لأحد فيه سبب لوجوده .

الصفة السابعة : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾: قيل: الجبار هو الذي لا يرى لأحد عليه حقًا قط، وقيل: لم يكن متعظمًا متكبرًا يقتل ويضرب على الغضب، وقيل : ولم يجعلني تاركًا لأمره فأشقى كما شقى إبليس وقيل: لم يجعلني متكبرًا، بل أنا خاضع لأنني متواضع ولو كنت جبارًا لكنت عاصيا شقيًا ،وروى أن عيسى عليه السلام، قال: قلبي لين، وأنا صغير في نفسي ، وعن بعض العلماء قال: لا تجد العاق إلا جبارًا شقيًا وتلا: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ ولا تجد سيئ الملكة

---

(١) حديث صحيح .

(٢) مفاتيح الغيب ج٢٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦ بتصرف يسير .

إلا مختالا فخورًا وقرأ : ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾[١].

الصفة الثامنة : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾: أي السلامة عليّ من الله عز وجل في هذه المواطن الثلاثة ، وروى أن عيسى عليه السلام قال ليحيى: أنت خير مني، سلم الله عليك وسلمت على نفسي، فقيل: إن تسليمه على نفسه بتسليم الله عليه ـ والسلام عبارة عما يحصل به الأمانة ومنه السلامة في النعم وزوال الآفات ، فكأنه سأل ربه وطلب منه ، ما أخبر الله تعالى أنه فعله بيحيى ، وأن الأنبياء مستجابو الدعوة ، وأعظم أحوال الإنسان احتياجًا إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث ، فجميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى طلبها ليكون مصونا عن الآفات والمخافات في كل الأحوال .

قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى في هذه الآية :ما أشدها على أهل القدر ، أخبر عيسى عليه السلام بما قضى من أمره ، ومما هو كائن إلى أن يموت[٢].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج١ ص ٢٦٥ بتصرف .

(٢) مرجع سبقت الإشارة إليه .

صفة المسيح في السنة كأنك تراه

إن السنة النبوية تحدثت عن المسيح عليه السلام كأنك تراه رأي العين ، وما هذا إلا لمكانته ، ولأنه سيكون حاكمًا عادلاً في آخر الزمان ، ولكن قبل أن نتحدث عن حديث السنة النبوية عن المسيح عليه السلام ، نذكر وبإيجاز شديد معنى المسيح كما جاءت هذه الكلمة في المراجع الإسلامية.

قيل: سمي بالمسيح لمسحه الأرض ، وسياحته فيها ، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان ، لشدة تكذيب اليهود له وافترائهم عليه ، وعلى أمه عليهما السلام ، وقيل: سمي المسيح لمسحه الأرض سياحة في الله ، وفراره بدينه، وسجل هذا الاسم في كتاب الله عز وجل ، فكان جزاء عاجلاً في دار الدنيا .

وقيل: سمي بالمسيح لأنه مسح بالزيت المقدس .

وقيل :سمي بالمسيح لأنه كان ممسوح القدمين إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي ضربنا عنها صفحاً خشية الإطالة على القاريء الكريم .

وبعد أن ذكرنا ما ورد في معنى المسيح وبيان معنى لفظه ، نذكر ما قالته السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم في شأن المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام .

روي عن جنادة عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الجنة على ما كان من العمل** »(١).

وجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مولود إلا والشيطان يطعن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً ، إلا مريم وابنها ذهب يطعن فطعن في الحجاب** »(٢) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه وهذا لفظه ، ورواه مسلم في صحيحه .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وروى البخاري ومسلم من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا أدب الرجل أمته فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعيسى ابن مريم ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران** »[١] .

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليلة أسرى بي لقيت موسى** » قال :**فنعته ـ فإذا رجل حسبته مضطرب الرأس كأنه من رجال شنوءة**» ، قال: « **ولقيت عيسى**» فنعته النبي ﷺ فقال : «**ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس ـ يعني الحمام ـ ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به** » [٢].

فهذا الحديث النبوي الشريف يبين لنا صفة المسيح عليه السلام ، أنه كان ربعة أي ليس بالطويل البائن الطول وليس بالقصير البائن القصر ، بل كان بين هذين ، وإن كان هذا الحديث يبين لنا صفة طوله ،فإن هناك حديثًا آخر يوضح لنا جوانب أخرى من صفاته الجسمانية .

فعن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من الرجال الزط...**»[٣] تفرد به البخاري .

فهذا الحديث يوضح لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام ، كان لونه أحمر وشعره ليس مرسلاً ، ولكنه كان مجعد ، عريض الصدر ، وبهذا تكون الصورة قد اتضحت لنا ، وتبين أن المسيح عليه السلام كان في طوله ربعة أحمر اللون ، شعره مجعد ، وليس صورته كما نراه في الكنائس التي يتعبد فيها المسيحيون أو الصور المعلقة على الصلبان ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى . . . فإنه في أمريكا أحد الخبراء أعطى أوصاف السيد المسيح بجهاز الكمبيوتر ، فأعطى صورة طبق الأصل كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه .

(٢) هذا الحديث تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه .

(٣) هذا الحديث تفرد بروايته الإمام البخاري .

وهذا من إعجاز السنة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وهذا حديث آخر يوضح لنا الفرق بين المسيح عيسى عليه السلام والمسيح الدجال لعنة الله عليه المتتالية إلى يوم البعث العظيم . .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال فقال : «**إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية ، و أراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت :من هذا ؟ فقالوا: المسيح ابن مريم ، ثم رأيت رجلاً وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن**[1] **واضعاً يده على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا ؟ فقالوا: المسيح الدجال**» [2] .

هذا الحديث النبوي الشريف يبين فيه المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام صفة المسيحين مسيح الهدى ، ومسيح الضلال ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ، ويعرف الآخر فيحذره الموحدون . هذا من ناحية . . .

ومن ناحية أخرى . . فإن اليهود لعنهم الله لعنة متتالية ، يعتقدون أن لهم مسيحًا سينزل آخر الزمان وليس كمسيح الهدى الذي أخبرتنا به السنة النبوية الشريفة ، ويعتقدون كذلك بأنه إذا نزل فلابد أن ينزل على الهيكل الذي يكون مكانه المسجد الأقصى ومن أجل نزوله لا بد من تطهير الأرض من غير اليهود يعنون بذلك المسلمين .

وكذلك يعتقد النصارى هذه العقيدة التي تعتمد على إبادة المسلمين .

إذا إن لكل أمة من هذه الأمم مسيحًا ولكن شتان بين ما يعتقده المسلمون وغيرهم . . . فالذي نؤمن به ونعتقده أن الذي سينزل آخر الزمان مسيح الهدى الذي يكسر الصليب ويذبح الخنزير ويبطل عبادة التثليث ويبطل هذا التفكير المنحرف، وهذه العقيدة الباطلة التي يتغنون بها .

---

(١) ابن قطن : رجل من قبيلة خزاعة هلك في الجاهلية .

(٢) رواه مسلم من حديث موسى بن عقبة .

معجزات نبي الله عيسى عليه السلام

ما من رسول من الرسل أو نبي من الأنبياء إلا أيده الله عز وجل بمعجزة من المعجزات التي تؤيد دعوته ، وتقوي حجته ، ودليلا على رسالته أمام قومه ، فهي برهان من الله تسانده في دعواه .

ونحن في هذه السطور القليلة نذكر معجزات نبي الله عيسى عليه السلام التي جاءت في كتاب الله عز وجل وما صح عن رسول الله ﷺ :

أولاً : معجزات تحدث عنها القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

يقول علماء التفسير : إن نبي الله عيسى عليه السلام كان يصور من الطين شكل طائر ، ثم ينفخ فيه فيصير عياناً بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله إلى قومه .

وكان من معجزاته أنه يبرئ الأكمه ،والأكمه هو من ولد أعمى ، ومن المعلوم أن من ولد أعمى لا يبصر، وعلى الرغم من التقدم العلمي المذهل في طب العيون من زرع القرنية وغيره من عمليات تعد معجزات طبية إلا أنه وقف الطب عاجزاً أمام من ولد كفيفاً ، وحار أساطين الطب في أنحاء العالم ، أمام هذا ، أما نبي الله عيسى عليه السلام ، كان يشفي هذا المرض منذ أكثر من ألفين وسبعة أعوام، فهذه معجزة بجميع المقاييس .

ومن معجزاته أنه كان يشفي الأبرص ، ومرض البرص معروف وهو مرض جلدي خطير . . . عندما يتمكن من الإنسان يشوهه ، وبعض الأنواع منه معدي يصيب الآخر إذا لامسه ، وصاحبه يكون منبوذًا ممن حوله وعلى الرغم أن مرض البرص أصبح له علاجاً يعالج به صاحبه عن طريق المستحضرات الطبية التي تتكون من العناصر الكيماوية إلا أنه يترك بعض الآثار الجانبية ، وأما إشفاء نبي الله عيسى عليه السلام ما زال معجزة باقية، لماذا ؟ لأنه كان يأتيه المريض فيمسح عليه بيديه فيشفيه الله عز وجل في الحال ، دون أن يأخذ المريض شيئاً أو يتناول شيئاً ، فينهض

وقد شفاه الله على الفور[١] .

﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

ثبت بالدليل القاطع أن الله عزت قدرته أيد نبي الله عيسى عليه السلام بهذه المعجزة الخارقة ، ألا وهي إحياء الموتى ، فكان يأتي على من قضى عليه الموت فيوقظه من رقدته ، بإذن الله تعالى . .وهذه لا يقدر عليها أحد إلا الخالق العظيم سبحانه وتعالى ، أو من أيده الله عز وجل بمدد من عنده ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى . . .فقد حار الأطباء والعلماء في معرفة سر الموت ففي منتصف القرن المنصرم عقد اجتماع في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مائة عالم في جميع فروع العلم وظلوا يبحثون عن سر الحياة والموت ، طيلة مدة انعقاد المؤتمر يبحثون ولكن بدون جدوى، وقد انفض المؤتمر ولم يتوصلوا إلى شيء فأيقن الجميع أن هذا سر من أسرار الله عز وجل، فإذن إحياء عيسى ابن مريم الموتى معجزة مؤيد بها من عند الله عز وجل وستظل معجزة باقية إلى أن تقوم الساعة.

لذا يقول كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحّار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام وصاروا من عباد الله الأبرار .

وأما عيسى عليه السلام ، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو في قبره ، رهين إلى يوم التناد[٢].

ومن معجزاته كذلك . . .أنه كان يخبر الواحد منهم ما أكله في ليله ويومه ، وما هو مدخر له في بيته لغده ، وهذا أمر غيبي لا يقدر عليه أو يدعيه إلا من أُيد بأمر الله وعون من عنده ، فهذه معجزة أُيد بها نبي الله ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ صـ٣٦٤ بتصرف .

(٢) قصص الأنبياء د/ عبد الوهاب النجار صـ٤٩٠ بتصرف يسير .

نزول مائدة من السماء

إن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه المعجزة الخارقة ، التي تؤيد دعوة نبي الله عيسى عليه السلام ، وأن الحواريين هم الذين طلبوا هذه المعجزة الخارقة ، لا ليتأكدوا من دعوته ، ولكن لتطمئن قلوبهم .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ـ١١٥] .

هذا هو حديث القرآن الكريم عن المائدة .

وما قاله علماء التفسير فيما ذكر من الآثار عن عبد الله بن عباس وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من علماء السلف ما خلاصته :

أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوماً ، فلما أتموها سألوا من عيسى عليه السلام إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها ، وتطمئن بذلك قلوبهم بأن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم ، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم ، لغنيهم وفقيرهم، فوعظهم نبي الله عيسى عليه السلام في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها .

فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل ، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من شعر وصف بين قدميه ، وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا، فأنزل الله تعالى المائدة من السماء ، والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين ، وجعلت تدنو قليلا قليلا ، وكلما دنت سأل عيسى عليه السلام ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة ، وأن يجعلها بركة وسلامة ، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام نبي الله عيسى عليه السلام ، يكشف عنها وهو يقول : بسم

الله خير الرازقين فإذا عليها[١] لحم وخبز وفاكهة ولها رائحة عظيمة جداً قال الله لها كوني فكانت جل جلاله وعظمت قدرته ، ثم أمرهم بالأكل منها ، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل فقال عليه السلام : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها ، فأبوا أن يأكلوا منها ، ابتداء فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى ، وكانوا قريباً من ألف وثلاثمائة ، فأكلوا منها .

فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح حال أولئك ، ثم قيل: إنها كانت تنزل يوماً بعد يوم كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوماً بعد يوم ، ثم أمر الله عيسى عليه السلام أن يقصرها على الفقراء والمحاويج دون الأغنياء ، فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقون في ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير . .هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى . . .فإن هناك من العلماء ومن السلف من أنكر نزول المائدة ، ولكن الذي اتفق عليه الجمهور أنها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، لأن الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] قال: ووعد الله ووعيده حق وصدق ، وهذا القول والله أعلم الصواب ، لما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم وقد قال الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال: وتفعلون ؟. قالوا : نعم ،قال: فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أُصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال : [بل التوبة والرحمة[٢]][٣] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٢صـ٨٦ .

(٢) رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه .

(٣) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق د/ محمد علي الصابوني . أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جـ١صـ٥٦٣، ٥٦٤ .

فضائل وشمائل عيسى عليه السلام

نحن الآن على موعد مع فضائل وشمائل روح الله وكلمته ، نبي الله عيسى عليه السلام ، وإن المرء ليحار وتصاب رأسه بالدوار بأيهما يبدأ وعن أيهما يكتب ، وكيف يكون لقزم مثلي أن يكتب عن فضائل نبي عظيم من أنبياء الله ومن أولي العزم الكبار ، ولكن من أجل أن نستفيد من هذه الفضائل وتلك الشمائل نتكلم عنها ، وليس لنا فضل سوى النقل والجمع والترتيب فقط ، وندعو الله أن يوفقنا لما فيه الخير والفلاح إنه نعم المولى ونعم النصير .

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق ، فقال له: أسرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني**» (١).

وفي رواية أخرى عن الحسين عن أبي هريرة قال: ولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ قال : «**رأى عيسى رجلاً يسرق فقال : يا فلان أسرقت ؟ فقال : لا والله ما سرقت فقال : آمنت بالله وكذبت بصري**» .

وهذا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً على ما شاهده منه عياناً فقبل عذره، ورجع على نفسه فقال: آمنت بالله ، أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك ، هذا هو خلق الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة وأتم التسليم. . . رأى بعينه ولكن حينما حلف الرجل ماذا يفعل أمام هذا اليمين فكذب بصره وصدق يمين الحالف (٢).

قال البخاري :حدثنا إبراهيم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له :جريج يصلي ،إذ جاءته أمه فدعته فقال: أُجيبها أو أصلي ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ،وكان جريج في صومعة فعرضت له امرأة**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه .

(٢) البداية والنهاية جـ٢صـ٩٦ بتصرف . .

وكلمته فأبى ، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقيل لها :ممن ؟ قالت : من جريج ، فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام ، فقال: من أبوك يا غلام ؟ قال :فلان الراعي ، قالوا : نبني لك صومعتك من ذهب ، قال : لا إلا من طين ، وكانت امرأة ترضع ابنا لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه» . قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي ﷺ : **يمص إصبعه ثم مر بأمة فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذا فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثله ، فقالت : لم ذلك فقال الراكب : جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل »**[1].

فهؤلاء الثلاثة الذين تكلموا في المهد كان لهم السبق ولم يتكلم غيرهم، أول هؤلاء نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهذه منزلة عظيمة ، ومنة كريمة من الله عز وجل على عبده ورسوله ، وتعد فضيلة من فضائله الكثيرة التي لا يكاد يحصيها العد . . وهي منحة إلهية وفضيلة ربانية أكرم بها عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه أفضل الصلاة والسلام .

روى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ : **« أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام ، والأنبياء إخوة أولاد علات ، وليس بيني وبين عيسى نبي»** [2].

ومن فضائله ﷺ : أنه كان زاهداً في الدنيا مثله مثل إخوانه الأنبياء والمرسلين ، فقد روي أنه كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ، ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ، ولا يدخر شيئاً لغد . .

وهذه هي صفة الزاهدين الذين لا يحرصون على الدنيا .ويعملون للآخرة ، وإذا

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري .

(٢) هذا الحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق.

كان نبي الله عيسى عليه السلام هكذا فمن يكون كذلك .

وروي عن ابن عساكر عن الشعبي ، أنه قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ، ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت .

أخي الحبيب ، إن هذا موقف نبي من أنبياء الله الذين شرفهم الله عز وجل وأكرمهم وعصمهم وغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، ومع ذلك كانت إذا ذكرت الساعة أمامه صاح إشفاقاً من ذكرها وإشفاقاً من أهوالها وكروبها .

فما بالنا نحن والذنوب تحيط بنا من كل جانب .

وقيل: إنه ﷺ كان إذا سمع الموعظة ، صرخ صراخ الثكلى، والثكلى : هي التي فقدت وحيدها .

كلمات لها معاني[1]

يحدثنا جعفر بن بلقان : أن عيسى عليه السلام كان يقول : اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط عليّ من لا يرحمني.

ما أجمله من دعاء وما أحسنه من نداء، حينما يتوجه العبد لهذا الدعاء إلى وليه ومولاه جل وعلا، وعند ما يجأر بالدعاء إلى ربه ومولاه ، وما أضعف الإنسان عندما لا يملك لنفسه نفعًا أو ضرا حياة أو موتا.

ويقول الفضيل بن عياض ، :كان نبي الله عيسى عليه السلام يقول : لا نُصيب حقيقة الإيمان حتى لا نُبالي من أكل الدنيا ، ثم يقول :فكرت في الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندي ممن خلق .

وعن معتمر بن سليمان يقول : خرج عيسى عليه السلام على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافيا باليا شعثا مصفر اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش فقال :السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٣٠ .

ولا عجب ولا فخر أتدرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟

قال: بيتي المساجد وطيبي الماء وإدامي الجوع وسراجي القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وريحاني بقول الأرض ولباسي الصوف وشعاري خوفي رب العزة، وجلسائي الزمنى والمساكين أصبح وليس لي شيء، وأمسي وليس لي شيء، وأنا طيب النفس غير مكترث فمن أغنى مني وأربح.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال عيسى للحواريين: كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القداح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم :إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وأن مرارة الدنيا حلاوة والآخرة ، وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين، بحق ما أقول لكم: إن شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله.

وكان يقول :يا بني إسرائيل ،عليكم بالماء القداح والبقل البري وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره، واعبروا الدنيا ولا تعمروها ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة.

يا بن آدم الضيف، اتق الله حيثما كنت وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينك البكاء ، وجسدك الصبر، وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة.

وعن سفيان الثوري : قال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء، وطالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله، وإن الشيطان مع الدنيا، وفكره من المال وتزينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات.

وعنه : طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته .

وعنه : طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتهت إلى غير إثم وعن مالك بن دينار قال: مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا: ما أنتن ريحها فقال :ما أبيض أسنانها لينهاهم عن الغيبة ، يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيّ الدين مع سلامة الدنيا .

وفي ذلك يقول الشاعر :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قَنعوا ولا أراهُم رضوا في العيش بالدّونِ

فاستغن بِالدين عن دنيا الملوكِ كما استغنَى الملوكُ بدُنياهُم عن الدِّين

وعنه قال: لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد عن الله، ولكن لا تعلمون ،ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد ،فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

وجاء في الخبر عن ابن عباس رضي الله عنه ، أن نبي الله عيسى عليه السلام ، مر بمدينة خربة ، فأعجبه البنيان فقال: أي رب مر هذه المدينة أن تجبني ، فأوحى الله إلى المدينة: أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى ، قال : فنادته المدينة : عيسى حبيبي وما تريد مني؟ قال: ما فعل أشجارك وما فعل أنهارك وما فعل قصورك وأين سكانك؟ قالت: حبيبي جاء وعد ربك الحق ، فيبست أشجاري ونشفت أنهاري، وخربت قصوري ومات سكاني ، قال: فأين أموالهم؟ فقالت: جمعوها من الحلال والحرام موضوعة في بطني ، لله ميراث السموات والأرض فنادى عيسى عليه السلام قائلاً :فعجبت من ثلاث أناس طالب الدنيا والموت يطلبه، وباني القصور والقبر منزله، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه، ابن آدم لا بكثير تشبع ولا بالقليل تقنع، تجمع مالك لمن لا يحمدك وتقدم على رب لا يعذرك ،إنما أنت عبد بطنك وشهوتك وإنما تملأ بطنك ، وإذا دخلت قبرك وأنت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك[1].

وروي أن عيسى عليه السلام قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكم غير أهلها ، فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة أمر بيّن رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فتجنبوه وأمر اختلف عليكم فردوا علمه إلى الله عز وجل.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص٩٥.

وعنه أيضا قال: لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير ، فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئًا ولا تعطوا الحكمة لمن لا يريدها ، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شر من الخنزير ـ وعنه أنه قيل له : من أشد الناس فتنة ؟ قال: زلة العالم فإن العالم إذا زل يزلّ بزلته عالم كثير ،قال: يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء، مثلكم مثل شجرة الدقلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها.

وعنه قال: يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلونها ، إنَّ شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه .

قال وهب بن منبه : وقف عيسى هو وأصحابه ، على قبر يدلي فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه فقال : قد كنتم فيما هو أضيق منه من أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع هذا .

والآثار في مثل هذا كثيرة جدًا ، ولكن أردنا أن نذكر طرفا منها للعظة والاعتبار هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى : إن هذه الكلمات التي تفوق اللؤلؤ في نفاستها وعظم معانيها فإنها تدل على سجية هذا النبي المعصوم صلى الله عليه وعلى رسولنا الكريم محمد بن عبد الله وأنه أدُب فأحسن تأديبه وكيف لا وهو روح الله وكلمته ﷺ (١) .

عن أبي بكر بن عبد الله المزني قال: فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم: توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى، وعليه كساء مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه حتى انتهى إليهم، فقال له بعضهم: ألا أجيء إليك يا نبي الله؟

فوضع إحدى رجليه على الماء، ثم ذهب ليضع الأخرى فقال :أوه غرقت يا نبي الله ؟ فقال: أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء ، فقيل له: يا نبي الله بأي شيء تمشي على الماء قال: بالإيمان واليقين ،

(١) مرجع سبقت الإشارة إليه.

قالوا: فإن آمنا وأيقنا كما أيقنت؟ قال :فامشوا إذًا قال: فمشوا معه في الموج فغرقوا، فقال لهم نبي الله عيسى: ما لكم؟ فقالوا :خفنا الموج قال: ألا خفتم رب الموج فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها ، فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الآخرة مدر أو حصى فقال: أيهما أحلى في قلوبكم ؟ قالوا: هذا الذهب، قال: إنهما عندي سواء.

رفع المسيح عليه السلام إلى السماء [١]

في هذه السطور القليلة نتناول قضية أرقت الكثيرين منذ القدم ، ألا وهي قضية رفع المسيح عليه السلام وتكون كما يلي :

أولا : حديث القرآن عن رفع المسيح .

ثانيا : ما قاله علماء التفسير باختصار .

قال تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٥، ١٥٩].

في هذه الآيات الكريمة يخبرنا الحق تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، خرج على أصحابه ، وفي البيت اثنا عشر رجلا منهم الحواريون ، يعني خرج عليهم من عين في البيت ، ورأسه تقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتا عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم أيكم يلقى عليه شبهي ، فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي ، فقام شاب من أحدثهم سنًا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام

(١) البداية والنهاية ج٢ ص ٨٥، ٨٦ بإسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم، ورواه النسائي.

الشاب، فقال :أنا ، فقال :أنت هو ذاك، فألقى عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ، ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله، ثم رفعه الله، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا ، حتى بعث الله محمدًا ﷺ قال ابن عباس: وذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ قيل: بلغ من جرم هؤلاء أنهم كانوا يبصقون عليه، ويلقون عليه الشوك، وهو الوجيه عند الله في الدنيا والآخرة، ووشوا به إلى بعض الملوك الكفرة ،وكان هذا الملك الذي وقع في عصره وبأمره الطلب [داود بن نور]. فأمر بقتله وصلبه، فحصروه في دار بيت المقدس، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت ، فلما حان وقت دخولهم أُلقي شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده، ورفع عيسى من روزنة ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون، ودخل الشرط، فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقي عليه شبهه، فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ، وكانوا يبصقون عليه، وسلم لليهود عامة النصارى، الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب، وضلوا بسبب ذلك ضلالا مبينا فاحشًا بعيدًا [١] .

من خلال ما تقدم من كلمات يسيرة عن رفع المسيح عليه السلام ، يكون قد بان لنا أن أمر المراجع التاريخية الإسلامية ذكرت لنا وباختصار ما صح عن رفع المسيح عليه السلام .

---

(١) مرجع سبقت الإشارة إليه .

حوار هادف[١]

عزيزي القارئ الكريم في نهاية هذه المسألة ، التي حسمها القرآن الكريم نقدم لك حواراً دار بين أحد أبناء الإسلام ، وبين أحد أبناء النصارى وليس لي فضل سوى النقل فقط، وسأحيلك على المصدر، وهذا للأمانة العلمية التي عاهدنا الله عز وجل عليها.

فيقول :ومع أنني ككاتب مسلم لست حجة الإسلام ، ومع أن محدثي وصديقي المسيحي الذي جرني إلى نقاش ديني ليس حجة المسيحية، فإن النقاش الذي شدني إليه يصلح إطاراً عاما قبل إجابة سؤلنا.

قال صاحبي: ما رأيك في التثليث؟

قلت: يناقض في الحدود ، لا يمكن للثلاثة أن يكونوا واحدا.

قال : ألا ترى للشمس آشعة وضوءاً وحرارة؟

قلت : ولكن لا يجوز لك أن تطلق على الجزء ما يطلقه على الكل، ليس ضوء الشمس هو الشمس، كما أن حرارة الشمس ليس هي الشمس، وواجب الوجود ينافي مع وحدانيته أن يكون مكونا من أجزاء، فالأجزاء تحتاج إلى من يجمعها ثم انظر إلى الوقت المحدود بميلاد وانتهاء حياة المسيح عليه السلام على الأرض، هل كان ثمة انقسام وانفصال في الذات الإلهية حسب مفهومك بحيث كان الأب في السماء والابن على الأرض؟

قال: لا أعرف أنا لست قسيساً وربما كان القساوسة يعرفون.

قلت: من حقك أن تهرب كما تشاء.

قال فجأة ودون مناسبة: لكن لا يوجد شيء اسمه الوحي.

قلت : فما الأناجيل عندكم؟

قال: لم يكتب ولم يُملِ المسيح أي إنجيل، كتبها من بعده أتباعه، وكل حكى

---

(١) هذا الكاتب يسمى الأستاذ علي الجوهري.

الحكاية أو روى الرواية من وجهة نظره، ومن هنا اختلافها.

قلت: لماذا إذا تسمونها بالكتب المقدسة ، وتسمون الواحد منها بالكتاب المقدس والبشر قد يخطئون؟

قال: إنها مثل ترجمان القرآن الكريم إلى لغة أخرى، لا نجد اثنين من المترجمين يتفقان على صيغة واحدة.

قلت: ترجمة معاني القرآن الكريم ربما تختلف بين المترجمين لكن أصل الترجمات موجود وهو نصوص القرآن الكريم ولا يوجد لديكم أصل الأناجيل، وهذا فرق لو تدري كبير .

قال: أصل الأناجيل مدفون في الفاتيكان.

قلت : إلى أن تستخرجه لا تستطيع الادعاء بوجود نص أصلي للأناجيل، وأنا أستطيع أن أريك بعيني رأسك القرآن الكريم وفورًا الآن.

قال :كيف أستخرج لك النسخة الأصلية من مكان دفنها من الفاتيكان.

قلت : أقصد أنها لو كانت موجودة لتمت طباعة ملايين النسخ منها أفخر طباعة، وشاع وانتشر أمرها ، ولكن اطمئن ليست موجودة.

قال : ما قولك في معجزات السيد المسيح عليه السلام؟

قلت : معجزات رسول سبقه رسل وجاء بعد رسل أجراها الله على يديه وأثبتها له لتكون دليلاً على صدق رسالته اعتبرتموها أدلة على ألوهيته.

قال :لكن المسيح صُلب وتعذب ومات على الصليب لكنه يفدي البشرية بدمه، نحن المسيحيون سندخل الجنة مهما كانت خطايانا، أما أنتم فستدخلون النار مهما فعلتم إن كل ما تعملون من أعمال صالحة إنما هي كثياب خرقة لا تنفع ولا تغني. قلت: ذلك هو ما تعتقدون ، وذلك هو ما يستهويكم عندنا في الإسلام أنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ومن العدل أن يحاسب كل إنسان على عمله.

قال: لكن المسيح صلب ومات على الصليب ، ودفن ثلاثة أيام ثم قام :

قلت : هذا ما تعتقدون أو بالأصح هو ما أرادوا لكم أن تعتقدوا ،هناك أكثر من

ثلاثين دليلاً على أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب، ولم يدفن ميتا، ولم يقض في المقبرة ثلاثة أيام وثلاث ليال بل مكث بها وهو حي.

قال: عندكم في القرآن ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾.

قلت: ولكنك قلت: إنك لا تؤمن بالوحي، قال: لزوم المناقشة.

وحسب، وبصراحة أنا أستريح لإجابتك، ولكن قل لي كيف شبه لهم؟
قلت: شبه لمن؟

قال: لليهود إن اليهود من أكثر من في الأرض فطنة وكانوا حريصين على قتل المسيح عليه السلام وكثيرا ما حاوروه وجادلوه وناقشوه وقدموا له الأسئلة المحرجة، كيف يقعون في مثل هذا الخطأ الساذج فيأخذون شبيها للمسيح على أنه المسيح.

قلت: هو شك في قدرة الله عز وجل، قال: كلا حاشا لله لا شك في قدرة الله.

قلت: إذن، بالغا ما بلغت فطنة وبراعة اليهود، فإن الله جلت قدرته قادر على أن يلبس عليهم ما يشاء لتنفيذ إرادته ومشيئته كما يريد وكما يشاء ألم تر إلى أكبر وأبرع العلماء يمكن أن يقعوا مجتمعين، أو فرادى في خطأ بسيط ساذج، هذا من وجهة ومن جهة أخرى فإن التعبير القرآني يقول: ﴿ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ لماذا انصرف معظم التفكير وانساق معظم أصحاب التفاسير إلى أن الله سبحانه وتعالى ألقى شبه المسيح على شخص غيره، وذهب بعضهم إلى أنه يهوذا الإسخريوطي، ولكن لماذا يكون هذا هو المعنى، إن التعبير القرآني يسبقه مباشرة قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أقول: المعنى الذي أجيزه بل أحبذه، هو انصراف التعبير القرآني إلى القتل والصلب، أي أنه وقع في روع اليهود أنهم قتلوا وصلبوا السيد المسيح عليه السلام وكانت الحقيقة غير ذلك، لم يقتل ولم يصلب عندما يكون معنى هو الموت على الصليب كان المسيح حيا وهو ما أثبته العلامة أحمد ديدات، وقدم عليه ثلاثين دليلاً دعني أخص وأوجز لك شبه لليهود أحد أمرين:

شخص المسيح - أخطأوا - ويجوز أن يخطئ البشر بالغا ما بلغ حذقهم بالنسبة لشخصه فأخذوا غيره على أنه هو المسيح.

أخطأوا عندما ظنوا أن المسيح قد مات على الصليب وهو لم يمت في حقيقة الأمر، وكلا الرأيين جائز، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، مكر اليهود بتدبيرهم قتل المسيح صلبا وأنت تعرف كيف دبروا لذلك واستعانوا بجنود الرومان واستعدوا حاكم الرومان بيلاطس عليه ، وضغطوا وهم بارعون في ممارسة الضغوط ، ولكن الله خير الماكرين.

قال: لماذا لا تعتبرون الإنجيل مثل القرآن الكريم؟

قلت : أنت اعترفت أنك لا تؤمن بالوحي ، وطلبت استبعاد الوحي.

قال : اعتبره ذلك على أنه كان موقفا جدليا ، وأجب سؤالي.

قلت : أنت اعترفت أن المسيح لم يقل الإنجيل مباشرة لم يمله، ولم يطلب تدوينه إلى أحد، قال: هذا صحيح.

قلت : واعترفت أن كل واحد من الحواريين الذي ينسب إنجيل إلى أي منهم كتب ما شاء أن يكتب عن قصة المسيح من وجهة نظره بعد عديد من السنين من وفاة المسيح عليه السلام، قال: هذا صحيح .

قلت : واعترفت أنه لا يوجد أصل ـ لأية نسخة أصلية يمكن الرجوع إليها لحسم أي خلاف بين روايات الأناجيل.

قال : وهذا أيضا صحيح .

قلت : القرآن الكريم أوحى به إلى نبي الإسلام عليه السلام ، وأملاه كاملا في حياته عليه السلام ، أنتم تعتزون بما كتبه أصحاب الأناجيل مع أنهم لم يكتبوها مباشرة، بل كتبوها بعد زمن طويل من عهد المسيح عليه السلام، فلم لا نثق كل الثقة في وثيقة مكتوبة أصلية مأخوذة مباشرة من مصدرها بدون أي فاصل زمني، وأيضا نثق في القرآن الكريم ونؤمن بصدقه ، ونؤمن بحفظ الله سبحانه وتعالى له ؛لأنه نزل على نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وأيضا فإن إعجازه بداخله ، لا يستطيع أحد ولم يستطع أحد ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثله، وإعجازه يتمثل في أنه قد حكى كل قصص الأنبياء والرسل السابقين

وكأنه قد كرس كل هذه المعجزات ليكون ذخيرة إيمان للمسلمين، وهذا ما لا يتاح لنبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ويعجز عن معرفة بعض ما جاء في القرآن الذي أوحاه الله إليه كبار المؤرخين وأساطين الأدباء.

ومما يروون أن الزنادقة وبعض الملحدين ذهبوا إلى أحد الأدباء المشهورين، وقالوا: لك من المال ما شئت، ومن الوقت ما أحببت، على أن تؤلف لنا كتابًا مثل القرآن في بلاغته ودقة تعبيره وشمول معانيه، فقال لهم في غرور وكبرياء: لكم ما شئتم، وبعد أن تم الاتفاق قال لهم: مرو عليّ بعد بضعة أشهر.

ومضت الأيام سراعا ـ وبعد ـ ستة شهور ذهبوا إلى صاحبهم فلم يستطيعوا أن يدخلوا عليه حجرته من أكوام الورق التي تحيط به من كل جانب فقالوا في دهشة وحيرة: ما بك يا فلان؟ قال: منذ أن تركتموني وأنا أحاول جاهدًا ولكن لم أستطع أن آتي بكلمة واحدة، وأبدى عجزه وخذلانه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ بعد هذا السجال وهذه المناقشة.

قال: ما رأيك بحديثنا هذا ونقاشنا في هذه الموضوعات؟ قلت: لا بأس بها أنت لا تمسك سيفًا وأنا لا أمسك سيفًا كان حديثا ونقاشا بالحسنى، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، كل إنسان حر وكل إنسان مسؤول عن نفسه أمام خالقه، والإنسان مطالب أن يفكر، وإذا كان الإنسان يفكر في أمر زواجه أو أمر صفقة هامة يرجو منها ربحا، ألا يجدر بالإنسان أن يفكر في مصير ذاته وفي الغاية من حياته كلها، وإذا كانت أمور الدنيا على تفاهتها تستغرق من الإنسان كل هذا الاهتمام، ألا تكون الحياة الأخرى، وهي حياة الاستقرار والبقاء والدوام أولى وأحرى بالتفكير والتدبير.

قال: ثمة نقطة هامة أرجو أن أستوضحها، قلت: وما هي؟ قال: جاء في القرآن في سورة النساء ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] فما معنى الرفع؟

قلت: ماذا تفهم أنت؟ قال: رفعه الله إليه جسمًا وروحًا، وفيما تروونه في قصة الإسراء والمعراج أن النبي محمدًا عليه السلام قد مر به في السماء وتحدث معه.

قلت: ومر النبي محمد عليه السلام أيضا على يحيى عليه السلام معه، ومر

بغيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام هذا جائز، بل إننا نتعبرها حقائق نعترف بها ولا نجادل فيها ، ولكن مرور النبي عليه السلام بالسابقين من الأنبياء والرسل عليهم السلام لا يستلزم الصلب ولا الموت على الصليب ، كما أنه ليس ملزمًا أن تكون طبيعتهم طبيعة جسمانية ،هذا وقد قيل عن معنى الرفع :[رفعه جسما وروحًا] وهناك رأي آخر وهو رأي مقبول. ومؤداه أن الرفع رفع ـ منزلة ومكانة ـ أما صعوده إلى السماء فهو جائز لا نشك في قدرة الله عز وجل ، ولكن ليس ثمة ما نحتمه لأنه لم يرد ذكر للسماء وقوله :﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ـ لم يرد بها ذكر السماء ومن المعروف أن السماء والأرض في عناية الله ورعايته ، وقد ورد في القرآن تعبيرات مماثلة دون أن نفهم منها مثل هذا الفهم قال تعالى : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦] إذ ليس معناه مهاجر إلى السماء بل معناه إني متحصن برعاية ربي وبالإيمان به.

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ومنه يتضح أن الرفع رفع منزلة ومكانة.

قال: ماذا حدث للسيد المسيح بعد الطلب؟

قلت : في ضوء ما سبق رفعه الله إليه ـ سواء كان ذلك بالروح والجسد أو كان الرفع رفع منزلة ومكانة ، وفي الحالة الثانية يكون أمر عيسى عليه السلام مع اليهود قد انتهى بمسألة الصلب، لكنه وقد ثبت أنه لم يقتل على الصليب، بل ساعده أتباعه المخلصون على النجاة من أذاهم، أن استمرت به الحياة مكرمًا من الله محاطًا بعنايته ورعايته ، له منزلته ومكانته عند الله إلى أن اكتمل أجله فتوفاه الله سبحانه وتعالى، إننا نؤمن تماما بقدرته .

قال: سؤال أخير : ماذا حدث للمسيح بعد عملية الصلب؟

قلت له : ولكني أجبت لك دعني أوضح لك ما يلي:

أولا : أنا أجيب كإنسان مسلم من منطلق العقيدة الإسلامية كما أجتهد فهمها، ومن مزايا العقيدة الإسلامية أن أفهمها ليس حكرًا على أحد .

ثانيا : كإنسان مسلم أعتمد في إجابتي على ما ورد في القرآن الكريم ،والسنة

الصحيحة وأجتهد فيهما قدر استطاعتي.

ثالثا : من المهم في ضوء ما تقدم مناهج البحث العلمي تحديد مصادر المعرفة بالنسبة لموضوع الدراسة ، ومصادر المعرفة في موضوعنا القرآن الكريم والسنة كما سبق القول ، يضاف إلى ذلك التواتر.

قال: ماذا تقصد بالتواتر ؟ قلت : ما أجمعت عليه آراء الثقاة من الرواة مستندا إلى وثائق لا يتطرق إليها الشك بحال، كيف نعرف أن الإسكندر الأكبر مثلا دخل مصر، التواتر والوثائق التاريخية هذا ما أقصده .

قال : ماذا تقصد بالتواتر ، وماذا أيضا؟

قلت : العقل الذي يقبل أو يرفض ، ويدقق ويمحص ويطلب الدليل المادي أو البرهان العقلي ويمحص كلا منهما، هذا والعقل السليم أعدل الأشياء قسمة بين الناس وهو يقبل الأفكار البسيطة الواضحة ما تيسر لها وتوافر فيها .

قال :حدد ما يلزم تحديده قل لي ماذا حدث بعد عملية الصلب للمسيح عليه السلام ؟ قلت: نستعرض الآراء الموجودة أولا ؛ لأنها من شروط الدراسة العلمية.

أولا : رأي اليهود : اليهود ينكرون المسيح ويعتقدون كذبه، ويزعمون قتله على الصليب، ويكون أمره قد انتهى بعملية الصلب المميت.

ثانيا : رأي المسيحيين : أن المسيحيين يرون أنه ابن الله ، وصلب صلبا مميتا وأنزل عن الصليب ميتا ودفن ميتا ، وبعثه الله من بين الموتى بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال فصار حيًا وعاد إلى أبيه.

ثالثا : رأي المسلمين : ويرى المسلمون أن عيسى نبي ورسول إلى بني إسرائيل بعثه الله إليهم ليصحح لهم عقيدتهم التي حرفوها ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، وسواء كان الشخص الذي وضعوه على الصليب شخصا آخر شبيها بالمسيح عليه السلام أو كان هو المسيح وظنه اليهود وجنود الرومان ميتا على الصليب وكان في الحقيقة لم يمت، فإن مصيره يكون بين يدي الله سبحانه وتعالى ، شأن رسل وأنبياء قبله، ورسل وأنبياء بعده ، ونحن كمسلمين لا نقبل بشأنه.

قال: ألا يشكل مصير المسيح بعد عملية الصلب أي أهمية بالنسبة لعقيدة المسلم، قلت : كلا على الإطلاق ، نحن مطالبون أن نؤمن بما ورد في النص القرآني الصريح وفي السنة المطهرة الثابتة ومسألة مصير السيد المسيح عليه السلام بعد عملية الصلب، إنما هي مسألة غيبية لاتصالها بعالم الغيب، هل تعرف أنت أو أنا أو أي شخص متى تقوم الساعة؟

بالقطع كلا ، علمها عند الله سبحانه وتعالى ، ليست لدينا كبشر وسائل للمعرفة فيما يتعلق بموعد قيام الساعة ، ومن العبث إذن أن يحاول أحد ادعاء المعرفة في مثل هذا الموضوع.

وهل تظن أنت أو أنا أو أي إنسان عندما نبعث أحياء يوم القيامة هل ستكون لنا نفس الطبيعة الجسمية كما عشنا في الحياة الدنيا ؟ هل نعرق ونصاب بجروح أو أمراض أو غير ذلك من هذه الأمور العارضة؟ هل نأكل ويكون لطعامنا فضلات ؟ بالقطع كلا ولكن كيف إذن ؟ لا علم لنا بذلك ، هذه أمور غيبية ، تماما لا نعلم منها إلا ما شاء الله أن يطلعنا عليه بدليل قطعي.

المهم أن مسألة مصير المسيح عليه السلام بعد الطلب ليست جزءًا من العقيدة الإسلامية يكفر ـ أو لا يكفر من ينكرها ويأخذ بها.

سؤال مباشر

ربما يكون من المناسب وحسمًا لهذا الجدل وهذا السؤال القديم الجديد، الذي يثور بين الحين والآخر ،كلما حدث جدال بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، أن أضع بين يدي القارئ الكريم هذا السؤال الذي وجه إلى الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الأستاذ الشيخ / محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر وكان نص السؤال كما يلي؟

هل عيسى حى أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي، وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟

وقد أجيب عن هذا السؤال بما يلي :

القرآن الكريم ونهاية عيسى عليه السلام:

أما بعد : فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور:

أولا : قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٢ ، ٥٥].

ثانيا : قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧ ، ١٥٨].

ثالثا : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦ ، ١١٧].

هذه الآيات التي عرض القرآن الكريم فيها لنهاية عيسى عليه السلام مع قومه والآية الأخيرة [آية سورة المائدة] تذكر لنا شأنا أخرويا يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله عنها، وهي تقدر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به اعبدوا الله ربي وربكم ، وأنه كان شهيدًا عليهم مدة إقامته بينهم ، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله.

وكلمة توفى ، قد وردت في القرآن كثيرا بمعنى الموت ، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال أيضا : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى﴾ [الحج: ٥]، وقوله : ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٥].

ومن حق كلمة ﴿تَوَفَّنِي﴾ في الآية أن تحمل هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق، فإذا فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حى لم يمت ، ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء .

الفهم المتبادر من الآيات

وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه ، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه وهذا ما تضمنته الآيات ، فلما أحس عيسى منهم الكفر قال :﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ إلى آخرها، بين الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم، وأن مكرهم في اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله في حفظه وعصمته، إذ قال : ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فهو

يبشره بإنجـائه من مكرهم ورد كيدهم في نحورهم، وأنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب ، ثم يرفعه الله إليه.

وهذا ما يفهمـه القارئ للآيات الواردة في شأن نهاية عيسـى مع قومه متى وقف على سنة الله مع أنبيـائه ، حين يتألب عليهم خـصومهم، ومـتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم القرآن، ولست أدري كـيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكرا وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس في استطاعتهم أن يقاوموا شيئاً ليس في قدرة البشر؟

ألا إنه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كـان جاريا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه، وقد جاء مثل هذا في شأن محمد ﷺ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ .

رفع عيسى ليس عقيدة يكفر منكرها

والخلاصة من هذا البحث في هذه المسألة ، تكون كما يلي:

أنه ليس في القرآن الـكريم، ولا في السنة المطهرة مسـتند يصلح لتكوين عقـيدة تطمئن إليهـا القلب بأن عيسى رفع بجسـمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فـيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض.

أن كل ما تفـيده الآيات الواردة في هذا الشـأن هو وعد الله عيـسى بأنه متوفـيه أجله، ورافعـه إليه وعاصـمه من الذين كفـروا ، وأن هذا الوعد قد تحـقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه.

وأن من أنكر أن عيـسى قد رفع بجسمـه إلى السماء، وأنه فـيها حي إلى الآن، وأنه سـينزل منها آخـر الزمان ، فـإنه لا يكون بذلك منكر لما ثبت بدليل قطعـي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبـغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذ مات على ذلك فـهو من المؤمنين ، يصلى علـيه كمـا يصلى على المؤمنين ويدفن في مقابر المؤمنين، ولا شبهة في إيمانه، إن الله بعباده خبير بصير[1].

هذه إجابة على مسؤولية من أجاب عليها ، والله عنده العلم.

---

(١) مجلة الرسالة السنة العاشرة العدد [٤٦٢].

كيف تحدث القرآن والسنة بأن الله منزه عن الولد؟

فى هذه السطور القليلة نذكر حديث القرآن الكريم وبيانه بأن الله عز وجل منزه عن الولد، وذلك لأنا لا نجد أبلغ وأفضل من ذكر كلام الله عز وجل من رده على النصارى ومن شايعهم .

قال تعالى . . فى آخر سورة مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] .

فى هذه الآيات الكريمة بين الحق تعالى أنه لا ينبغى له الولد ، لأنه خالق كل شىء ومالكه، وكل شىء فقير إليه ، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السماوات والأرض عبيده، ربهم لا إله إلا هو لا رب سواه كما قال تعالى :﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٠ ـ ١٠٣].

فبين الحق تعالى أنه خالق كل شىء فكيف يكون له ولد ؟

والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى لا نظير له ولا شبه ولا عديل له ، فلا صاحبة له ، فلا يكون له ولد كما قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص: ١ـ ٤].

يخبر الحق أنه الأحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ﴿الصَّمَدُ﴾ وهو السيد الذى كمل فى علمه وحكمته ورحمته وبلغ جميع صفاته ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أى لم يوجد منه ولد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يتولد عن شىء قبله . ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أى ليس له عدل أو لا مكافئ ولا مساوى، فقطع النظير المدانى والأعلى المساوى، فانتفى أن يكون له ولد؛ إذ لا يكون الولد إلا متولدا بين شيئين متعادلين أو متقاربين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا .

فائدة:

أنكر قوم نزول المسيح في آخر الزمان، وردوا الأحاديث الواردة في ذلك، وقالوا: إنه لا حجة فيها؛ لأنها أحاديث آحاد . وأنكروا أيضا رفع عيسى ببدنه .

ومسألة رفع عيسى . وهل هو ببدنه أو بروحه؟ مسألة خلافية بين العلماء . ولكن الحق أنه رفع ببدنه وروحه ، لما ذهب إلى ذلك جمهور المفسرين ، كالطبرى والإمام أبى عبد الله القرطبى ، والإمام ابن تيمية والحافظ ابن كثير ـ رحمهم الله جميعاً ـ رحمة واسعة ومن وافقهم في ذلك .

أما الأحاديث فى نزول عيسى عليه السلام فمتواترة .

صرح بذلك الإمام الطبرى في تفسيره (ج٣ ص٢٩١) وابن كثير في تفسيره (٧ / ٢٢٣) والحافظ ابن حجر ، وصديق خان في الإذاعة . والشيخ صاحب عون المعبود فى شرح سنن أبى داود والشيخ أحمد محمد شاكر في حاشية تفسير الطبرى (٦ / ٤٦٠) وحاشية مسند الإمام (٢١/ ٢٥٧) . والشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ محمد أنور شاه الكشميرى فى كتابه التصريح بما تواتر فى نزول المسيح، وقد رواه أكثر من خمسة وعشرين صحابيا، رواه عنهم أكثر من ثلاثين تابعيا.

قال تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾ [النساء : ١٧١ ـ ١٧٣] .

فالحق تعالى . . ينهي أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء فى الدين وهو مجاوزة الحق والحد ، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد، فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العذراء البتول التى أحصنت فرجها، فبعث الله جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت

منها بولدها عيسى عليه السلام .

هذا والذى اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم وهى مخلوقة من مخلوقات الله جل وعلا . . كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله . . وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفا وتكريما، وسمى عيسى بها لأنه كان بها من غير أب وهى الكلمة أيضا التى عنها خلق وبسببها وجد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران: ٥٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة ١١٦، ١١٧].

وقال تعالى . . ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة : ٣٠] .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله ، كلا من الفريقين ادعوا على الله تعالى شططا، وزعموا أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما أفكوه ، إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة، تشابهت قلوبهم.

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكرا، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة للرد عليهم وبيان تناقضهم ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار والعظائم التى توجب النار فقال : ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة: ٧٤] ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد الله ورسوله وأمه صديقة ، أى ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله ، وفى هذا القول الكريم دليل على أنها ليست نبية؟؟ كما زعمه طائفة من علمائنا . وقوله: كانا يأكلان الطعام : كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما .

ومن كان بهذه المثابة وتلك الصفة كيف يكون إلها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوا كبيرا .

وقال السدى وغيره : المراد بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ .

زعمهم فى عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله يعنى كما بين الله تعالى كفرهم فى ذلك بقوله آخر السورة الكريمة:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٦-١١٨].

فى هذه الآيات الكريمة يخبر الحق تعالى أنه يسأل عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله ، أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول: ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ أى تعاليت أن يكون معك شريك ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ أى ليس هذا يستحقه أحد سواك ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ وهذا تأدب عظيم فى الخطاب والجواب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أى ما قلت غير ما أمرتنى به حين أرسلتنى إليهم وأنزلت على الكتاب الذى كان يتلى عليهم ثم فسر ما قاله لهم بقوله: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أى خالقى وخالقكم ورازقى ورازقكم ﴿ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾[المائدة: ١٧٤] - أى رفعتنى[1] إليك حين أرادوا صلبي وقتلي وقلة علمهم وكثرة جهلهم ، وقد تنوعت أقوالهم وكفرهم ، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض، وأما الحق فلا يختلف ولا يتناقض ولا يضطرب قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب، فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى ، وطائفة قالوا: هو ابن الله، عز الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً . . وطائفة ثالثة قالوا: هو الله ثالث ثلاثة قال تعالى : ﴿ لَقَدْ

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ج١ص٥٦٣).

كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[المائدة :١٧] .

فأخبر الله تعالى عن جهلهم وعن كفرهم وبين أنه الخالق القادر على كل شيء وأنه رب كل شيء ومليكه وإلهه .

وقال أيضا : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[المائدة: ٧٣ ـ ٧٥] .

حكم الحق تعالى بكفرهم شرعا وقدرا ، فأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى ابن مريم، وقد بين لهم أنه عبد الله مربوب مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والخزى فى دار القرار والهوان والعار ، ولهذا قال :﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢]. ثم قال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[المائدة: ٧٣].

قال ابن جرير وغيره : المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة : أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، على اختلافهم فى ذلك .

ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أى وما من إله إلا الله وحده لا شريك له . ولا نظير له ولا كفء له ولا صاحبة له ولا ولد ، ثم توعدهم وتهددهم فقال: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: ٧٣].

فرحمتنى وخلصتنى منهم وألقيت شبهى على أحدهم حتى انتقموا منه .

فلما كان ذلك ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[المائدة: ١١٧]

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل والتبرى من أهل النصرانية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[المائدة:١١٨] أى وهم يستحقون ذلك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضى وقوع ذلك، ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، ولم يقل: إنك أنت الغفور الرحيم .

روى عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح، ﴿إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وقال: «**إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا**»(١).

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾[الزمر: ٤، ٥] .

وقال أيضا : ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الزخرف: ٨١ ، ٨٢].

وقال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء : ١١١] .

وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**يقول الله تعالى: شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لي ولدًا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد**»(٢).

وفي الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (٣).

---

(١) روى ذلك أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٦٣٨)، والبخاري في صحيحه (٨ / ٢١٥) فتح الباري، ورواه أحمد في المسند مطولا (٢٠٩٦، ٢٢٨١، ١٩٥٠، ٢٠٢٧).

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٣) ولفظه: قال الله تعالى: «يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني، وما ينبغي له، أما شتمه فيقول: إن لي ولدا. وأما تكذيبه فقوله: «ليس يعيدني كما بدأني». ورواه أيضا في صحيحه (٦٥ / ١١٢ـ٢ / ٤٩٧٥) فتح ولفظه (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك أما تكذيبه إياي أني لم أعده كما بدأته. وأما شتمه إياي أن يقول : (اتخذ الله ولدا) كما رواه النسائي في سننه (٢١ / ١١٧).

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٤٥ / ١٥ / ٢٥٨٣) من طريق أبي موسى ولفظه: «إن الله عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢]، كما رواه البخاري في التفسير وابن ماجه.

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[لقمان: ٢٤].

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[هود: ٦٩، ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾[الطارق: ١٧]

وهكذا بان لنا من خلال النصوص القرآنية الكريمة أن الله عز وجل تعالت قدرته أنه منزه عن الولد وعن الشبه.

وأنه توعد هؤلاء الذين يزعمون بكفرهم وجهلهم . .أن له ولدًا وأوجب لهم العذاب الشديد فى الآخرة وسوء المصير .

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

بمشيئة الله عز وجل نتناول هذه المسألة بشيء من الإيجاز وبعيداً عن التشعب والخلافات ونقتصر على الأحاديث الصحيحة فقط، هذا وبالله التوفيق .

في حديث النواس بن سمعان الطويل ، في ذكر خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام، قال رسول الله ﷺ : « **إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه ، أي يطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة** » (١) .

هذا الحديث النبوي الشريف يعد علامة من علامات إعجاز النبي الذي لا ينطق عن الهوى ، حيث إنه في الوقت الذي قال فيه الحديث لم تكن هذه المنارة البيضاء قد بنيت بعد ، أو لم تكن معروفة حتى ذاك الوقت ، فوصف مكان نزول عيسى عليه السلام بدقة متناهية ولو أردت أن تحدده الآن على الخريطة لوجدته كما ذكر .

بل زاد الأمر وضوحاً بعد أن حدد مكان نزوله ، حدد الثوب الذي يكون عليه. فقال: بين مهرودتين ، والمهرودتان ثوبان مصبوغان بورس ، ثم زعفران .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[الزخرف: ٦١].

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال : هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة(٢). وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ج٢ص٨٥،٨٦: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم: ورواه النسائي نحوه.
وجاء في صحيح مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال ج٤ص٢٢٥٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد، قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، حديث رقم (٢٩٢١).

[النساء: ١٥٩] قال: قيل: موت عيسى ابن مريم، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

قال الحسن: قبل موت عيسى والله إنه لحى الآن عند الله . ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون(١) . روى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل ابن مريم حكما عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها**» ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ [النساء: ١٥٩] (٢) . .

هذا الحديث يوضح فيه لنا المصطفى ﷺ أن عيسى ابن مريم سينزل آخر الزمان عندما يحين انتهاء الدنيا وافناؤها، ويقسم على ذلك قسما مغلظا ما كان يقسمه إلا عند الأمور الهامة. فيقول: والله الذى أنا مملوك له وتحت تصرفه ، إن زمن نزول عيسى عليه السلام قد اقترب وأنه عندما ينزل إلى الأرض ويحكم فيها وسيكون حكما عدلا ، وكيف لا وهو نبى معصوم من أولى العزم ، ويكون من شأنه وعمله أنه يكسر الصليب، وفى هذا رد على النصارى الذين يزعمون صلبه ويقدسون الصليب، ويقتل الخنزير، وهذا دليل آخر على كذب النصارى وبيان افترائهم؛ لأنهم يستحلون الخنزير ويعم السلام ويفيض المال إما لكثرته أو لعزوف الناس عنه لقرب الساعة .

وروى الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»(٣).

وروى مسلم عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة**» ، قال: «**فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقول أميرهم: صل لنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة**»(٤) .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ج١ص١٣١، وأثر ابن عباس صححه الحافظ في الفتح٦ / ٤٩٢ .
(٢) هذا الحديث صحيح، رواه الشيخان (البخاري ومسلم).
(٣) حديث صحيح من حديث أبي هريرة رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الإمام مسلم رحمه الله.

وقال ﷺ : « **الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإنى أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه**»(١) .

إن الناظر فى نصوص هذه الأحاديث النبوية الشريفة ليقف على حقيقة واحدة وهى أن نبى الله عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان ويحكم بشرع الإسلام ويعيد تطبيقه مرة أخرى؛ ولأن الدين عند الله الإسلام والنبى ﷺ يؤكد لنا بأنه أحق وأولى الناس به ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) الحديث صحيح رواه أحمد في مسنده وصححه الشيخ شاكر في هامش عمدة التفسير ج٤، ص٣٦، وصدر هذا الحديث رواه البخاري ورواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد.

الحكمة من نزول المسيح عليه السلام

لا شك أن تلك الحكمة هى الرد على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبين الله تعالى كذبهم، وأنه الذى يقتلهم،ويقتل رئيسهم الدجال، ورجح هذا الحافظ ابن حجر على غيره» (١).

لأن اليهود أساؤوا إلى نبى الله عيسى عليه السلام ما وسعهم ذلك ، وآذوه، ولما أراد اليهود قتله لم يمكنهم الله من قتله ، بل إنه يقتلهم آخر الزمان .

والجزاء من جنس العمل . .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود**»(٢).

وروى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « **يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة**»(٣) وفى رواية الإمام أحمد . . «**سبعون ألفاً عليهم التيجان**» .

هذا وصف لما يكون عليه أتباع المسيح الدجال من لباسهم وزيهم وعددهم وما يكون عليهم من غطاء الرأس .

. . يلحق عيسى عليه السلام بالدجال عند باب لد فإذا رآه ذاب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السلام: إن لى فيك ضربة لن تفوتنى ، فيدركه عيسى ، فيقتله بحربته ، وينهزم أتباعه المؤمنون ، فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم ، يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود.

هذا الحديث الشريف يحدد المكان الذى فيه يقتل مسيح الهدى مسيح الضلالة (عند باب لد) فى هذا المكان تكون نهاية المسيح الدجال ودعوته على أيدى ابن مريم عليه السلام، وتكون نهاية اليهود من على وجه الأرض التى طالما أنَّت من

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٦ / ٤٩٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد قال ابن حجر: صحيح فتح الباري ج١٣ /ص٣٢٨ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

ظلمهم وطغيانهم ومكرهم الدنيا لدرجة أن الحجر والشجر يوشى بهم فينطقه الذى أنطق كل شىء إلا نوع من هذه الأشجار أراد الله لها عدم النطق وهى شجرة الغرقد ومن العجب والملفت للنظر . . أن اليهود فى المستعمرات اليهودية يكثرون من زراعة هذه الأشجار حول مستعمراتهم ويقولون: إنها شجرة حبيبة لنا.

وروى الإمام أحمد عن جابر ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يخرج الدجال فى خفقة من الدين ، وإدبار من العلم**» فذكر الحديث . وفيه: «**ثم ينزل عيسى ابن مريم ، فينادى من السحر : أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل جنى ، فينطلقون ، فإذا هم بعيسى ابن مريم عليه السلام فتقام الصلاة ، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه** ، قال: «**فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى ياروح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله**»(١).

كانوا يبحثون عن المسيح فى كل مكان لقتله فالآن ينطق كل حجر وشجر إلا الغرقد ينادى على المسيح ليقتلهم ويقتل المسيح الصِّدِّيقُ المسيح الضِّلِّيلُ يقتل مسيح الهدى مسيح الضلالة ينزل عليه السلام مكذبا النصارى فيظهر زيفهم فى دعواهم صلبه فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل من الناس إلا الإسلام .

فقد عظموا ما ادعوا أنه صلب عليه ، فيكسره المسيح .

قال ابن حجر: يكسر الصليب أى يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه(٢) ويقتل الخنزير والله لينزلن ابن مريم حكما عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية .

روى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : «**وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه لنازل فيهلك الله فى زمانه المسيح**

---

(١) رواه أحمد، قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، الفتح الرباني (٢٤ / ٨٥،٨٦).

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (٦ / ٥٦٧).

الدجال وتقع الأمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الابل، والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم»[١، ٢] .

حجه عليه السلام:

فقد روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده ليهللن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمرا أو ليثنيهما»[٣] .

(١) رواه مسلم باب نزول عيسى ابن مريم حاكما.

(٢) مسند الإمام أحمد، قال الحافظ: سنده صحيح فتح الباري ج٦ص٤٩٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الحج بيان جواز التمتع في الحج والقرآن، ج٨ص٢٣٤ شرح النووي.

بماذا يحكم عيسى عليه السلام ؟

يحكم عيسى عليه السلام بالشريعة المحمدية ، ويكون من أتباع محمد ﷺ : فإنه لا ينزل شرع جديد لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكما من حكام هذه الأمة ومجددا لأمر الإسلام، إذ لا نبى بعد محمد ﷺ ، أما وضع الجزية عن الكفار مع أنها مشروعة قبل نزوله عليه السلام، فليس هذا ناسخاً لحكم الجزية هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ليس ما جاء به عيسى شرعا جديد فإن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزول عيسى عليه السلام بإخبار نبينا عليه السلام فهو المبين للنسخ بقوله لنا: «**والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسر الصليب وليقتلن الخنزير ويضعن الجزية**» ويبين لنا ذلك كله وغيره هذا الحديث النبوى الشريف .

روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **ليس بينى وبينه نبى - يعنى عيسى - وإنه لنازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين (ممصرتين[1]) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال، فيمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون**»[2].

فمرحى بأمة رسول الله ﷺ ، نبيها أعظم الأنبياء، وآخر مجدديها نبى على ملة رسول الله ﷺ ، بل آخر صحابى نبى . .

قال الذهبى: عيسى ابن مريم عليه السلام صحابى ونبى فإنه رأى النبى ﷺ ليلة الإسراء ، وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتا[3].

---

(١) ممصرتين ثياب فيها صفرة خفيفة.

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود تحت رقم (٣٦٣٥).

(٣) تجريد أسماء الصحابة للإمام الذهبي ج١ص٤٣٢ .

كتب مقدسة لها تاريخ

قال أبو زرعة الدمشقى: إن التوراة أنزلت على نبى الله موسى بن عمران فى ست ليال خلون من شهر رمضان، ونزل الزبور على نبى الله داود عليه السلام فى اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ـ ١٢من رمضان ـ وذلك بعد التوراة بأربعمائة واثنتين وثمانين سنة ـ ٤٨٢سنة .

وأنزل الإنجيل على نبى الله عيسى عليه السلام : فى ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف وخمسين عاماً ـ ١٠٥٠ عاما ـ وأنزل الفرقان على رسول الله ﷺ : فى أربع وعشرين من شهر رمضان؛ وكان بين نزول القرآن والإنجيل على عيسى عليه السلام ستمائة عام . .

هذا وقد روى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان . وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان، هذا من ناحية . . .

ومن ناحية أخرى . . أن الصحف والتوراة والزبور والإنجيل نزل كل منها على النبى الذى أنزل عليه جملة واحدة ، وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك فى شهر رمضان فى ليلة القدر منه كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] وقال أيضا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[الدخان:٣]، ثم نزل بعده مفرقا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة لحكمة غالية عظيمة .